﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ⑦ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ⑧ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ⑨ ﴾ [غافر: ٧ – ٩].

من كمال لطف الله بعباده وإحسانه بهم أن الله تعالى جعل الملائكة المقربين يستغفرون للذين آمنوا ويدعون لهم بما فيه صلاح دينهم وآخرتهم.

وهم أفضل أجناس الملائكة فإن الملائكة لا تفتر عن ذكر ربها وتسبيحه وتقديسه وتحميده، وهم لا ذنوب لهم، بل هم طائعون لربهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، فقيدهم الله تعالى؛ لكي يستغفروا للمؤمنين.

وكيف أن الملائكة يتوسلون إلى ربهم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى على أن يجيب طلبهم في الطائفة التي وحدت ربها وأخلصت له في دينها واتبعوا كتاب ربهم وهدي نبيهم.

ومن تمام دعائهم يطلبون من ربهم أن يقي المؤمنين من السيئات والأعمال القبيحة، فمن وفقه الله للحسنات وجنبه السيئات فقد كتب الله له الفوز والسعادة في الدارين الدنيا والآخرة.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

معلم الإيمان بالملائكة في القلب وإرادة الملائكة الخير لنا، بل حرصهم على أن

الله يغفر لنا الذنب ويوفقنا للأعمال الصالحة، فهل تجد في قلبك حبًا للملائكة ؟ وهل تعلم ما هي علاقة الإنسان بالملائكة وأين تجدهم؟ وهل جزاء الإحسان إلاَّ الإحسان فلتحسن صحبتك لملائكة الرحمن الكرام البررة.

إن علاقتنا بالملائكة علاقة سطحية، نعلم أن من أصول الإيمان الإيمان بالملائكة، ونحن نؤمن بالملائكة، ولكن ينبغي أن أقف على هذه العلاقات سواء المباشرة أو غير المباشرة مع الملائكة، وكيف أن أفاضل الملائكة يرغبون لنا الخير، بل وتراهم يتوسلون لربهم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يغفر لنا الذنب وأن يدخلنا الجنة وأن يجمع بيني وبين أسرتي في الجنة، وأن يجنبنا المنكرات.

فتعلمتُ أنني ينبغي أن أنظر إلى معلم الإيمان بالملائكة في قلبي وأين تقع محبة الملائكة في قلبي خاصة، وهم يتمنون لنا الخير، بل وينشغلون بطلب ذلك من ربهم، فتعلمتُ أنني ينبغي أن أوطّد علاقتي بالملائكة الكرام البررة، وأجتهد أن أتشبه بهم، فهم والله لا يعصون الله ما أمرهم، بل ويفعلون ما يُؤمرون.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ۝٣٢﴾ [فصلت: ٣٠ - ٣٢].

التلازم بين الإيمان والعمل الصالح والاستقامة على صراط الله المستقيم لنرى أثر ذلك عند مفارقة الدنيا والأهل والمال والأحباب، فكان من رحمة الله بالمؤمنين، حتى لا يحزنوا أنه سبحانه يبشرهم بالجنة التي وعدهم الله.

والملائكة يثبتون الإنسان عند موته كما كانوا يثبتونه في الدنيا لفعل الطاعات وترك المنكرات ويثبّتونهم عند المصائب والمخاوف خاصة عند مفارقة الدنيا لشدة الموت، وما يأتي من أمور غيبية من القبر وظلمته وأهوال القيامة والصراط والميزان.

ويشوقونهم إلى الجنة أن لهم فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وهم فيها خالدون، هذا ثواب الملك لمن أطاعه، وهذه جائزة الرحمن لمن سار على صراطه المستقيم.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

تقول لي هذه الآية: ما مدى استعدادك للموت وتركك لولدك وزوجك وأهلك وعشيرتك ومالك وتفلتك من الدنيا؟ هل ترى في نفسك التأهب والاستعداد لهذه اللحظات، فقد مضى وقت اللعب وينبغي توطين النفس على استقبال كل ما هو آت من أمر الآخرة فهل أنت مستعد؟

أتراك تقول نعم الآن أم تقول فلنأخذ فرصة أخرى؟ وهل ستوفق إلى ما تطلبه فتمهل أم حان وقت الرحيل.

وهل أنت مستعد للقاء ملك الموت، فلا تنسَ فأنت على موعد حتمي مع ملك الموت.

فعلمتني هذه الآية أن أتأهب وأتأهل لاستقبال جند ربي، ملائكة الرحمن الذين وكلهم سبحانه بقبض روحي؛ ليصعدوا بها إلى بارئها الملك الديّان، ولا أدخر جهداً أو مجهوداً من أجل أن تأتيني بهذه البشرى عند موتي. يا لها من سعادة إذا بُشِّرَ الإنسان عند موته بهذه البشرى.

اللهم لا تُمتنا إلاّ وأنت راضٍ عنّا.

﴿ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الشورى: ٤٧].

ماذا تريدون من ربكم أكثر مما قال؟!

إن ربك لرءوف رحيم، ومن رحمته بيّن لنا ما غُيب عنّا ووصف لنا الدواء، فاحذر من هذا اليوم حيث ليس للعبد في ذلك اليوم ملجأ يلجأ إليه فيفوت ربه ويهرب منه، ومالك في هذا اليوم، بل لا تستطيع إنكار ما قد فعلت فالله تعالى سيقوم شهيداً عليك من نفسك.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

وضوح الرؤية والتصور لهذا الموقف، ويقينًا لاسبيل لنا إلا أن نستجيب لنداء الله لنا ويقينًا إذا مررنا بأذهاننا في كل أرجاء الدنيا فلا نجد مكانًا، ولو ضيقًا نختفي فيه عن ربنا ومولانا ومالكنا سبحانه، فلابد من تصحيح وإصلاح العلاقة التي بينك وبين ربك.

فلا سبيل إلا بتأهيل نفسي لكي أستجيب لربي ولندائه؛ لأنه لا سبيل للحياة الطيبة في الدنيا والفوز في الآخرة إلا بالاستجابة وتنفيذ ما طلب مني ربي فأنا عبده وملكه وتحت قهره وسلطانه. فإن لم أستجب لربي، فلمن أستجيب؟!.

فإن لم أقل لربي عندما أسمع نداءه لي: لبّيك ربنا وسعديك والخير بين يديك. فنداء من ألبّي؟!.

﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾
[الزخرف: ٢٢]

احذر من العادات فإنها قد تحولت عند الناس إلى دين، احذر من العادات الموروثة عن الآباء؛ فسبب المخالفات يأتي من خلال هذه الشبهة.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

هذه الآية تقول لي: هل تعارض شيئًا من شرع ربك؛ لأنه أتى على خلاف العادات الموروثة؟ وهل تجاهد نفسك لربك لكي تتخلى عن العادات المتأصلة والموروثة المناقضة لدين ربك أم أن العاطفة والحنين إلى ما كان عليه الآباء يجعلك تتخلى وتعارض ما جاء به الكتاب والسُّنَّة؟ وهل تأملت وعلمت أن سبب كفر الكافر كان التقليد وسبب الاستمرار على البدع والمعاصي كان التقليد؟.

انتبه: فقضية تقليد الآباء فيما يخالف الشرع قضية قديمة متوارثة عن طريق الأمم السابقة. فلتجاهد نفسك لربك واعلم ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾** ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

فعلمتني هذه الآية أن أجاهد نفسي في الله، فالهداية لسبيل ربي المستقيم تحتاج مني أن أترك العادات الموروثة عن آبائي طالما كانت مخالفة لشرع ربي، وأن أقوم بعرض العادات والأعراف الموروثة التي نشأنا عليها وتعلمناها من البيئة التي وُجدنا فيها أعرضها على كتاب ربي وسُنَّة نبيه ﷺ، فما وافق قبلناه وما افترق عنهما فارقناه.

﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ ﴾

[الدخان: ١٠ - ١٤].

فيها تسلية للمؤمنين، وفيها ترهيب للكافرين .

كيف بكم إذا نزل العذاب يوم القيامة .

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

أتحذر من أشراط الساعة أتعلمها ، هل أخذت الاحتياط بشأنها، فما هو موقفك إن ظهرت علامة من هذه العلامات الكبرى؟ .

فهل أنت تعلم هذه الآيات والعلامات التي تكون من بعدها الساعة؟

ماذا تعرف عن اليوم الآخر؟ وهل أنت من الآخرة على يقين؟ وما هو معلم الإيمان بالآخرة في قلبك؟ وما مظهر هذا المعلم في حياتك؟

فتعلمت كيف أُفتش في قلبي لكي أقف على المعالم المبثوثة في قلبي ، وأبحث عن معلم الآخرة في قلبي، حيث لا استقامة للإنسان على طريق ربه المستقيم إلا بإقامة هذا المعلم بصورة واضحة صحيحة في قلبي .

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الجاثية: ١٦، ١٧].

أعدد نعم الله عليك من إنزاله الكتاب وإرساله الرسول وتيسيره لنا سبل العيش الطيب، واحذر الشقاق فقد أنزل الله لنا الفرقان الذي يفرق بين الحق والباطل والهدى والضلال، وسبب الشقاق دومًا في عدم اعتماد ما اعتمد الله لنا من مصادر الدين، وهذه المرجعيات عند الاختلاف.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ [النساء: ٥٩].

﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ [الشورى: ١٠].

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

التمسك بالكتاب والسنة، وردّ أي تنازع أو خصومة أو إشكال إلى كتاب الله وسنّة رسوله دون غيرهما.

وإنْ حَكَمَ ربك يوم القيامة المتخاصمين أو المتنازعين فكيف يكون حكمه؟ إن مصدر حكمه سبحانه من خلال هذا القرآن الذي بين أيدينا.

فعلمت نفسي أن كل صغيرة وكبيرة لابد من عرضها على كتاب ربي وعلى سنة رسوله ﷺ. فلا سبيل للنجاة من حساب يوم القيامة إلاّ بمحاسبة النفس.

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٢) ﴾ [الأحقاف: ٢٩ - ٣٢].

الإيجابية ومسؤولية المسلم في دعوة الخلق لدين الله تعالى وبيان الفهم في الدين وأن الدعوة لدين الله ينبغي أن تكون على بصيرة بعد الفهم والاستيعاب لآيات الله تعالى، ولابد من التعرف على الميزان الذي نقيس من خلاله الأمور، وأن الجن عندها علم سابق بالرسالات، وبالنظر والتدقيق ما هي الدوافع التي جعلت الجن يؤمنون برسالة النبيّ محمد ﷺ؟ أن هذا الكتاب يدعو إلى ما تدعو إليه التوراة مع البيان الواضح لمعالم الطريق المستقيم وأن الطريق المستقيم هو الموصل إلى الجنة، وأن من لم يستجب لهذا الدين فإنه في خسران مبين وأنه لن يضر الله شيئًا.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

الإيجابية سمة أساسية في حياة المسلم مع الإحساس العميق بالمسئولية اتجاه هذا الدين، وسبيل الأنبياء الدعوة لدين الله تعالى مع عدم التقاعس عن هذه المهمة، وكذلك الفهم في دين الله والتفهم لطبيعة هذا الدين، مع التحذير من الشعور بأن الإنسان يمنّ على ربه بطاعاته ففي حقيقة الأمر أن الإنسان هو الذي ينتفع بالطاعات كما أنه هو الذي يُضَرّ بالمعصية.

فعلمتني أنني ينبغي أن أسلك سبيل الأنبياء، وأن أقوم بواجبي نحو هذا الدين من دعوة الخلق لدين ربي ولأنفض يدي من السلبية، فهذا وصف لا يليق بالمؤمن.

لقد تعلمت من هذه الآية هذه الإيجابية والإحساس بالمسؤولية من موقف الجن وأنهم بمجرد أن سمعوا هذه الآيات التي قرأها النّبيّ ﷺ حملوها إلى قومهم لينذروهم من عذاب الله إن لم يستجيبوا، ويُبشرونهم بمغفرة الله لهم إذا استجابوا، فنظرتُ فيما عندي، فإذا أنا معي آيات أكثر بكثير من الآيات التي استعمت إليها الجن، فماذا فعلت؟

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد : ١٩].

العلم بأنه ﴿ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ يتطلب إقرار القلب ومعرفته، وتمام ذلك أن يعمل بمقتضى هذه الكلمة والعلم بتوحيد الله فرض عين على كل إنسان.

ما سبيل العلم بأنه لا إله إلا الله؟

- التعرف على الله بأسمائه وصفاته والتعرف على أفعاله سبحانه الدالة على كماله وعظمته وجلاله والتعبد لله بمقتضى ذلك.
- التعرف على الله أنه الخالق المدبر لهذا الكون القائم على شؤون خلقه.
- التعرف على نعم الله الظاهرة والباطنة الدينية والدنيوية.

وهذه المعرفة توجب تعلق القلب بالله ومحبته.

وهذا هو سبيل ترسيخ الإيمان في القلب.

﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ اطلب من الله المغفرة لذنبك بأن تفعل أسباب المغفرة من التوبة والدعاء بالمغفرة والحسنات الماحية وترك الذنوب.

اطلب من الله المغفرة للمؤمنين والمؤمنات بسبب إيمانهم كما تطلب ذلك الملائكة من ربها سبحانه لعباده المؤمنين الموحدين.

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ تصرفاتكم وحركاتكم وذهابكم ومجيئكم ويعلم مكانكم الذي تستقرون فيه.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

ماذا تقول هذه الآية لي؟

إقرار القلب ومعرفته بأسماء الله وصفاته لينشأ عن ذلك العلم بمقتضى هذه الكلمة، فهل من معلم في قلبك لقضية التعرف على ربك معرفة ينشأ من خلالها الإجلال والتعظيم لله تعالى المتمثل في ظهور أثر هذه المعرفة على سلوكك وأفعالك.

وما هي المكانة التي يمثلها العلم في قلبك؟ انظر إلى جدول أوقاتك، فهل رأيت أن هناك جزءاً من وقتك وجهته لكي تتعلم أمر هذا الدين؟.

فعلمتني هذه الآية أن أنظر في قلبي لأزن ما هو علمي بالله تعالى، وأنه لا إله إلاّ هو، هل علمي بالله أخذه قلبي من لساني، أم أخذه لساني من قلبي.

وهل أقرأ لساني بلا إله إلاّ الله، وقلبي في غفلة من هذا ؟، أم أن قلبي نطق بلا إله إلاّ الله، ولساني ترجم ما نطق به قلبي؟.

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ (٢٩) وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ (٣٠) ﴾ [محمد : ٢٩، ٣٠].

احذر من مرض القلوب؛ فإنها أمراض متوطنة في القلب وعلاجها طويل الأمد، ومرض القلب من أخطر الأمراض؛ فإنه مرض فتاك يهلك صاحبه.

واحذر من اطّلاع الله على قلبك، فإن كان الإنسان يستطيع أن يخفي في نفسه ما لا يبديه للناس، ولكن قضى الله تعالى أن يُرى ما في قلب الإنسان على فلتات لسانه وصفحات وجهه، فلابد من الامتحان لما في القلوب ولابد من إظهاره سواء عن طريق الأقوال أو التصرفات، واحذر من الظن السوء أن تعامل الخلاق العليم بما تعامل به الخلق فتظن أن الله لا يطلع على ما في داخلك، كما أنه لا سبيل للناس أن يطّلعوا على ذلك فهو مخفي عنهم.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

تعاهد القلب وتعاهد أمراض القلوب والوقوف على وصفها وتشخيصها مع عدم الغفلة؛ فإنّ القلب محط الشبه والشبهات، ولتُصلح من سريرتك وليكن قلبك صفحة بيضاء ولتعلم أن وجهك مرآة لقلبك، فهل وقفت على صفحة قلبك؟ وهل رأيت عليه نكت طمست بعض معالم هذه الصفحة؟ فلتسرع لإزالتها قبل أن يفضحك وجهك أو يفضحك لسانك، فعلمت أن هناك أمراض يُصاب بها القلب من شهوات وشبهات أشد فتكًا بالإنسان من أمراض البدن، وأن هذه الأمراض القلبية لتقرأ على صفحات الوجوه وفلتات اللسان، فكان لابد من النظر المستديم في قلبي وإزالة ما يعلق به من هذه الأمراض؛ حتى يعود قلبًا أبيض مصقولاً أُزيلت من عليه الغشاوة والران؛ لأنه لا سبيل لفهم كلام الله إلاّ بذلك.

﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[الفتح: ٢٩]

فهل لك في صحبة النبيّ ﷺ ؟

فلتكن مستجمعًا لصفاتهم؛ فإن صحابته ﷺ كانوا بأكمل الصفات وأجل الأحوال، ومقصود العبادة بلوغ رضا الله تعالى والوصول إلى ثوابه، ويرى أثر هذه العبادة على وجوههم حتى استنارت.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

تقول هذه الآية لي: اعلم أن العبادات لها أثر على باطن الإنسان نراه على وجهه، فهل تلمست على وجهك أثر عباداتك تراه فيما تتكلم به وفيما تفعل؟

وهل ترى الرفق واللين والمودة في قلبك للمؤمنين وترى الغلظة في قلبك على الكافرين فإنها علامة صحة الإيمان.

فعلمتُ أنه لابد من اختبار ما في قلبي من مودة للمؤمنين ومن شدة على الكافرين فهي علامة صحة القلوب.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ①﴾ [الحجرات: ١].

هذه الآية متضمنة للأدب مع الله تعالى والأدب مع رسوله ﷺ والتعظيم والاحترام له وإكرامه.

فأمر الله عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان بالله ورسوله من امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، وأن يسيروا خلف أوامر الله متبعين لسنّة رسول الله ﷺ في جميع أمورهم وأن لا يقدموا بين يدي الله تعالى ورسوله ﷺ، فلا يقولوا حتى يقول، ولا يأمروا حتى يأمر.

وهذا الأدب هو عنوان سعادة العبد وخلاصه.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

وجوب هذا الأدب مع الله والأدب مع رسول الله ﷺ متمثلاً في عدم التقدم بكلام أو أفعال قبل الرجوع والنظر في الكتاب والسنة.

معلم هذه الآية في القلب أنها منشأة لتعظيم وتبجيل الكتاب والسنة فهما أساس سير الإنسان، وهذه علامة تقوى الإنسان لربه أنه لا يتقدم لا بقول أو عمل على كتاب ربه وسنة نبيه ﷺ، بل لو عرض له عارض ولم يكن عنده علم ما أبدى برأيه إلاّ بعد الرجوع إلى الكتاب والسنة.

فعلمتني هذه الآية أنّ سيري ينبغي أن يكون من وراء الكتاب والسُّنَّة، فهما إمامي في سيري إلى ربي وإلى الدار الآخرة، ولا أسبقهما في سيري ليكونا خلفي.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات : ١٣].

جميع بني آدم خُلقوا من آدم وزوجه حواء، فالكل يرجع إلى أصل واحد وجنس واحد، والميزان عند الله مبناه على التقوى لا على اللون ولا العرق ولا على المال ولا على غيره، ولكن الميزان هو التقوى والله تعالى هو أعلم بمن اتقى.

فأكثرنا طاعة وانكفافًا عن المعاصي هو الكريم عند الله تعالى.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

لا استطالة على خلق الله لا بمال ولا بجاه ولا بسلطان، فإن هذا ملك زائل، ولكن الميزان لا يكون إلاَّ على الدين.

أين معلم الدين بصفة عامة في القلب؟

وسبيلك إلى إكرام من أكرمه الله بالتقوى وعدم التحقير من شأن من قد يكون عند الله مقبولاً.

فالتقوى هي السبيل لنيل الشرف والمنزلة عند ربي، فما السبيل لكي أكون من المتقين؟

﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾
[ق: ١٩ - ٢٢]

الموت لا يحتاج إلى استئذان وبه ينقلب الغيب إلى شهادة ويُساق الإنسان بأعماله خيرها وشرها.

أكثر الناس بلسان أحوالهم يكذبون بيوم الدين، ودليل ذلك تركهم للأعمال والغفلة عن يوم الحساب، وستُكشف الحجب حتي ترى ما غفلت عنه وأعرضت عنه.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

ماذا تقول لي هذه الآية؟

هل ترى حقائق الآخرة وقد رُسمت أمامك بوضوح؟

هل فعلاً أنت في غفلة عن لقاء ربك وعن يوم الحساب؟

هل لو كشفت الحجب سترى ما كنت غافلاً عنه بقلبك أم ستقع الرؤيا وفقًا لما صورته في قلبك عن هذا اليوم؟

وهل أنت تجلس ترقب الموت ومفارقة المال والأحباب؟

وهل بصرت في عملك الذي سيقودك إلى مقعدك في الآخرة؟

فعلمت أن الغفلة سبب الهلاك والدمار الذي يلحق بالإنسان فلتقم من غفلتك قبل أن يأتي الموت حيث لا يُعطي المهلة للاستعداد، فإنه إذا جاء فإنه لا ينتظر، فلتسارع قبل أن يُغلق الباب.

﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٥].

الغفلة والنسيان تنسحب دومًا على الإنسان، فقد يذهل عن بعض الحقائق، فحاجة الإنسان للتذكر وللتذكير الدائم حاجة لا تنقطع، وهذا هو سبيل المؤمنين تقليب الحقائق دومًا حتى لا تنطوي بعض الحقائق وتكون في طي النسيان.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الشعراء: ١٢١، ١٢٢].

وكذا يقول سبحانه: ﴿ وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٨].

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

هل دومًا تراجع هذه العلاقات، وهذه المعالم التي في قلبك أم اكتفيت بوضعها فقط، فليس العبرة في احتلال هذه المعالم لأماكنها في قلبك ولكن المداومة والاستمرارية على تعاهد هذه العلامات وهذا مظهر من مظاهر الإيمان لأن هذا هو سلوك المؤمنين.

علامة إيماني الاعتبار والاتعاظ وعدم الغفلة والنسيان.

فعلمتني هذه الآية أن أُقويّ ذلك الواعظ الذي في قلبي؛ ليكون مُذكِّرًا مستديمًا معي لا أنفكُّ عنه ولا يَنْفَكُّ عنّي.

﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الطور: ٤٨، ٤٩].

إياك أن تعبأ بالمستهزئين. وإياك أن تظن أن الله يسلمك لأولياء الشيطان أعداء الرحمن. وإياك أن تظن أن الله تعالى لا يرى ما تقابل به عند دعوة الخلق لتوحيد ربهم، فأنت بمرأى من الله، وحفظ واعتناء، فربك بصير وربك حفيظ يحفظ أولياءه ولكن عليك أن تتعرف على السّنن الكونية وعليك أن تستعين بالصبر خاصة في الذكر والعبادة خاصة قيام الليل لتخلو بينك وبين ربك سبحانه.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

قيام الليل أين هو في حياتك وكذلك ذكر ربك وعبادته، وهل ترى أنك تصبر على طاعة ربك؟ وهل أنت صابر على استهزاء المستهزئين المكذبين الضالين، فلا يفت ذلك في عضدك وتملّ من الطريق؟ ولا يفوتك أن ربك يراك على كل موضع وأن ربك لا يتخلى عن أوليائه ولا يسلمهم إلى أعدائه.

فتعلمت أنه لابد أن يكون في مفكرتي قيام الليل حتى ولو بركعات قصيرة، وورد من التسبيح عند نومي وعند يقظتي وعند إدبار الليل وإقبال النهار، وعند إدبار النهار وإقبال الليل، وكذلك في وقت السحر حيث الغفلة.

فعلمتني هذه الآية ألاّ أغفل عن زادي اليومي المتمثل في ذكر ربي ليلاً كان أو نهاراً، فإنها والله لهي السعادة الحقيقية أن أُمَتّع جوارحي، وجميع أركاني وكياني بذكر ربي من تسبيح أو تهليل أو قراءة في كتاب ربي.

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾ [النجم: ٣٩ - ٤٢].

كل عامل له عمله ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه، فلا يتحمل أحد عن أحد ذنبًا، وأن عمل الإنسان سوف يُعرض في الآخرة فيجازى بعمله، فليس لك أيها الإنسان إلاَّ سعي نفسك، فلا تعتمد على غيرك.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

لابد للإنسان أن يكون بصيرًا على نفسه، وأن صفحة أعماله لابد أن تكون مرئية واضحة يرى معالم أعماله عليها ولا ينصرف عن نظره أو بصره أن مرجعه إلى ربه ليجازيه على أعماله، فهل عملك يصلح أن تتقدم به إلى ربك؟

فلا اغترار أنني من عائلة فلان أو أنا فلان ابن فلان، فإنها علائق مقطوعة ولا تتقدم إلى ربك إلاَّ بعملك تراه يمينك وشمالك.

فعلمتني هذه الآية النظر المستديم في سعيي وعملي الذي سوف أقدم به غدًا على ربي، والذي سيجازيني على أساسه الملك الديّان الذي لا تخفى عليه خافية، وأني في نهاية الرحلة لموقوف بين يدي ربي ولمسئول عن أعمالي.

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر: ٤٩، ٥٠].

الله تعالى خالق كل شيء فلا شريك له في ملكه ولا شريك له في خلقه، فلم يشرك في خلقه أحداً كما لم يُشرك في ملكه أحداً، وهذه المخلوقات من سماوات وأراضين وما فيهن وما بينهن، كل ذلك مما سبق في علم الله السابق وبما جرى به القلم بوقتها ومقدارها وجميع ما اشتملت عليه من أوصاف وكل ذلك على الله يسير، والإنسان يسعى إلى ما قدره الله عليه فكل ميسر لما خُلق له، وربك قدير، إذا أراد شيئًا قال له كن، فيكون على مراد الله تعالى، فلا ممانع له ولا منازع.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

تعلمت فيها أن أقول لنفسي:

ما هو معلم الإيمان بالقدر في قلبك، و هل وصل في قلبك حقًا أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك؟ وهل ترى مشهد القدر مع كل حدث تمر به أم تتسخط القدر؟ وهل تستحضر دومًا قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا؟ وهل ترى مظهر إيمانك بالقدر على سلوكيّاتك وهل ترى معلمه في قلبك؟.

فعلمتني هذه الآية أنه لن يكون في ملك الملك الجبار إلاّ ما أراد وشاء، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن؛ فمشيئة ربي نافذة، فلتسكني يا نفس ولا تجزعي فإنّ ربي الذي أعبده إذا أراد شيئًا قال له كن فيكون، فسبحان الملك الواحد القهار.

﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الرحمن: ٦٠].

هل جزاء من أحسن في عبادة الخالق ونفع عبيده إلاّ أن يُحسن إليه ربه بالثواب الجزيل والفوز العظم والنعيم والعيش السليم.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

قلت: يا نفس قفي...

هل أنت من المحسنين؟

وهل أنت تحسنين في عبادك ربك؟

وهل أنت تحسنين إلى عباد الله؟

وهل أنت تحسنين مع نفسك وأهلك وزوجك؟

وهل أنت تحسنين مع أوقاتك ولحظاتك؟

هل تعلم ما هي صفات المحسنين؟ وهل تجد هذه الصفات في نفسك؟ وهل وقفت مع مظاهر إحسان الله إليك؟

وكيف ترى نفسك في تعاملك مع نعم الله عليك؟!

فيا نفس هل جزاء الإحسان الإساءة والمعصية والكبر والبغي والطغيان؟ أم أن جزاء الإحسان أن يُقابل بمثله؟!، فتوبي إلى ربك قبل أن يُحال بينك وبين التوبة.

﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾

[الواقعة: ٨ - ١١].

الناس ينقسمون عند ربهم إلى ثلاث فرق بحسب أعمالهم الحسنة والسيئة. فرقتان من أهل الجنة، وفرقة من أهل النار.

فأهل الجنة منهم السابقون بالخيرات، وسابقون في الآخرة بدخول الجنات.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

تعلمت أن أقول لنفسي: هل ترى أعمالك تقربك إلى الجنة أم تقربك إلى النار؟ فلو كنت ترى أنك تجتهد لتعمل عمل أهل الجنة، فهل ترى أنك من الممكن أن تكون من السابقين؟ وهل وقفت على صفات كل طائفة ونظرت في نفسك إن كنت فعلاً مشتملاً على صفات أي فرقة من هذه الفرق؟ وهل نظرت إلى الحوافز التي تدفعك أن تكون من السابقين بالخيرات، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون أم تركت هذه المسابقة لغيرك؟

فوالله إنه السباق الحقيقي ليكون في احتلال الدرجات العلى في الجنة.

فعلّمتني هذه الآية أن أُشمّر ساعد الجد والاجتهاد وأواصل الليل بالنهار في طاعة الله وأقول وداعًا للغفلة والكسل؛ فقد آن الرحيل وأزفت الآزفة، فقد مضى وقتُ اللعب واللهو.